التراث اللامادي العثماني في الجزائر دراسة تاريخية أنثروبولوجية.

The Ottoman intangible heritage of Algeria is an anthropological historical study.

رفاف شهرزاد [1]،

[1] كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، جامعة طاهري محمد- بشار - (الجزائر)،

chahrasaid1973@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/04/30 تاريخ القبول: 2020/11/06 تاريخ النشر: ديسمبر /2020

الملخص

يعد التراث الثقافي العثماني في الجزائر ثروة حضارية وثقافية تراكمت عبر القرون فهو يمثل هوية الشعب والأمة الجزائرية ومن هذا المفهوم كان لابد من التمسك بأصالته وعراقته والمحافظة عليه والتراث هو التاريخ المادي و المعنوي والمرآة الحقيقية لأي حضارة فعلاقة الإنسان بالتراث علاقة عضوية تمثل هويته وجذوره الثقافية، لكن اليوم هذا التراث مهدد بالضياع والزوال والتغّير وهذا راجع إلى عدة أسباب يتمثل أهمها في تغير نمط الحياة التقليدية و عصرنة الثقافة المادية، و يشكل التراث الثقافي غير المادي الذي ورثه الجزائريون عن الأتراك بالنسبة لكثير من المدن الجزائرية مصدراً ثرياً تتناقله الأجيال بصفة متواترة، وتعيد بعثه مرة أخرى طبقاً لتاريخها وخصوصياتها الاجتماعية ، وهو بهذا كفيل برسم هويات هذه الجماعات وانتماءاتها الحضارية.

الكلمات المفتاحية: التراث الثقافي ، اللامادي، العثماني، العادات، الجزائر.

Abstract:

The Ottoman cultural heritage in Algeria is a cultural and cultural wealth that has accumulated over the centuries. It represents the identity of the people and the Algerian nation, and this concept has to be upheld and preserved. Heritage is the material and moral history of any civilization. Today, this heritage is threatened with loss, disappearance and change. This is due to several reasons, the most important of which is the change in the traditional lifestyle and the modernization of material culture. The intangible cultural heritage that the Algerians inherited from the Turks is for many Algerian cities Yeh rich source recounted by generations as frequently, and re-sent him back again, according to its history and social specificities, a sponsor of this draw the identities of these groups and cultural affiliations.

Key words: Cultural Heritage, Intangible, Ottoman, Customs, Algeria.

المؤلف المرسل: رفاف شهرزاد ، الإيميل المهني: chahrasaid1973@gmail.com

المقدمة:

نظراً لاتساع التراث الشعبي غير المادي الجزائري العثماني، فإنه يمكن للأفراد والجماعات أن يكونوا منتجين وحاملين لهذا التراث في آن واحد ،وهناك علاقة قوية بين التراث الثقافي والموروث الشعبي وهي علاقة انصهارية كونهما معا مرتبطان بذاكرة الأمة وهويتها، فالموروث الشعبي جزء مهمٌ من التراث ، إذْ هذا الموروث عبر أنماطه المتنّوعة زمنينا ومكانيا، والتي تنتظم في مـ جالات عدّة من فنون الثقافة الشعبية سّيما فنون الأدب الشعبي من أشعار، وحكايات خرافية، وقصص شعبية وملاحم، وأمثال، وألغاز، وعادات، وتقاليد، وممارسات شعبية لا تزال مؤثرة في حياة المجتمع الجزائري، وسلوكياته الفردية والجماعية، وحراكه الثقافي والاجتماعي، بل وحتى الاقتصادي في العديد من مناحي الحياة بالرغم من العصرنة.

ونشير إلى أن المجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات العالمية الأخرى ما يزال متمسك بكثير من مظاهر ثقافته الشعبية مما يجعله يشكل لنفسه حاجزا منيعا يحافظ به على خصوصياته السوسيوثقافية خاصة في ظل العولمة التي من بين أهدافها القضاء على تلك الخصوصيات.

وسيسهم هذه المقال بالكشف عن بعض العناصر المرتبطة بالتراث اللامادي الجزائري الموروث عن الأتراك(المجالس وما يرافقها من أهازيج والألغاز ورقصات شعبية، والاحتفالات الشعبية مثل الوعدة، الختان والأعياد ، والعادات والتقاليد)، والى التغير الذي طرأ على التراث الثقافي غير المادي من خلال دراسة تاريخية انتروبولوجية للمجتمع الجزائري بصفة عامة معتمدين على منهج الوصف ولاستقراء والمنهج لاسترادادي.

ومن أجل أن يكون بحثنا ملما بجميع الجوانب قدر الإمكان اجتهدنا أن تتمحور إشكالية المقال حول: هل الموروث الثقافي العثماني في الجزائر انصهر مع التراث اللامادي الجزائري في بوثقة ثقافية واحدة؟

وللإجابة على الإشكالية طرحنا تساؤلات فرعية هي:

- ما دلالة التراث الثقافي الجزائري في العهد العثماني؟
- ماهي أسباب اندثار وتلف التراث الثقافي غير المادي؟
- ماهي آليات الحفاظ على التراث الجزائري العثماني غير المادي، و جهود المجتمع المدني و منظمة اليونسكو في الحفاظ على التراث غير المادي؟

1-التراث الثقافي: المفهوم والأهمية

***التراث:** هو ذلك التراكم المعرفي غير المحدود الزاخر بالقيم والتقاليد [1] ومما لاشك فيه أن التراث يمثل بمفهومه الواسع الذاكرة الحية للفرد والمجتمع التي بها يمكن معرفة هذا الفرد وهذا المجتمع ويتم التعرف على هويته وانتماءه إلى شعب من الشعوب وحضارة من الحضارات [2].

ويقصد بعبارة "التراث الثقافي اللامادي" حسب اتفاقية منظمة اليونسكو، باريس (10/17/ 2003م) تلك الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات – وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية – تعتبرها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد، جزءا من تراثهم الثقافي. وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلا عن جيل، تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها، ويعزز من ثم احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية. ولا يؤخذ في الحسبان سوى التراث الثقافي غير المادي الذي يتفق مع الصكوك الدولية القائمة المتعلقة بحقوق الإنسان، ومع مقتضيات الاحترام المتبادل بين الجماعات والمجموعات والأفراد والتنمية المستدامة .

***الثقافة:** يشتق مفهوم كلمة ثقافة من الفعل الثلاثي" ثقف" أو" ثقف" بمعنى حذق أو مهر أو فطن أي صار حاذقا ماهرا، فطنا، وثقف الشيء أقام المعوج منه سواه، وثقافة الإنسان أدبه، وهذبه وعلمه[3]، و أول من استعمل كلمة ثقافة هو العلامة عبد الرحمن ابن خلدون ويعني بها المعرفة المدنية المكتسبة من خلال نمط العيش العمراني المستقر إذ يقول ابن خلدون"وإذا ألفوا العيش والدعة... لم تعد تفرق بينهم مع العامة ومن الناس إلا بالثقافة والشارة" [4].

وقد أطلق مفهوم الثقافة العنان لعلماء الاجتماع والانتروبولوجين و المفكرين على رأسهم المفكر الجزائري مالك بن نبي الذي يعرف الثقافة:" أنها مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته لتصبح لا شعورية تلك العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، فهي على هذا المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته، وعندما تتكون ثقافة المجتمع فإنها تخلق تاريخه حيث تولد علاقة بين الثقافة والتاريخ إذ ليس ثمة تاريخ بلا ثقافة فالشعب الذي يفقد ثقافته يفقد حتما تاريخه"[5]

وهناك العديد من التعاريف حول مفهوم الثقافة يمكن إجمالها في أن الثقافة هي ذلك النسيج الكلي المتمثل في الأفكار والاجتهادات والعادات ومنظومة القيم وطريقة التفكير وآداب السلوك التي تحكم جماعة من الأفراد.

2-أنواع التراث الثقافي:

ينقسم إلى تراث ثقافي مادي وتراث اللامادي وتراث طبيعي، ويطلق الثرات المادي الثقافي على كل ما يدركه المرء بحواسه من قصور ومعابد وقلاع ونقوش ومسلات ومنشآت عسكرية ونقوش حجرية والتي مرت عليها فترة زمنية معينة وتنسب إلى عصور وحضارات عريقة موغلة في التاريخ ، ومن أمثلة ذلك أنظمة الري والسقاية في بلادنا.

أما التراث المادي الطبيعي فيقصد به المعالم الطبيعية المؤلفة من التشكيلات الفيزيائية والبيولوجية(المحميات الطبيعية والتشكيلات الرسوبية).

والتراث غير المادي: هو تراث غير ملموس ويشمل كافة التقاليد وأشكال التعبير الشفهي وأنواع الفنون والممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات ومن أنواع التراث غير المادي الذي يشكل ملامح الثقافة العامة للمجتمع مثل اللغة الناقلة للتراث، الحكاية والأمثال والأدب الشعبي، الموسيقي والغناء والأزياء والحرف التقليدية، العادات والتقاليد[6].

***نماذج من التراث الثقافي غير المادي في الجزائر خلال العهد العثماني:**

تزخر الجزائر برصيد ثقافي هام قبل أن تلحق بالدولة العثمانية وتجلى ذلك في عدد علمائها الذين تركوا بصماتهم في شتى فروع العلوم، وكان لهم دور بارز في تنشيط الحياة الثقافية في المغرب والمشرق[7]وهذا التنوع في التراث الثقافي في الجزائر العثمانية خاصة ما تعلق بشقه اللامادي شغل حيزا كبير من الدراسات التاريخية بأقلام المؤرخين والرحالة الأجانب وبعض المغاربة فدونوا أخبار المجتمع الجزائري تدوينا سرديا مبرزين مظاهر ثقافة المجتمع الجزائري آنذاك.

من بين هؤلاء نجد الراهب هايدو(**HAEDO**) الذي كان أسير في الجزائر، قدم هايدو كتابه باللغة الاسبانية سنة 1612م من خمسة أجزاء حول الطبوغرافيا والتاريخ العام للجزائر،احتوى كتابه على وصف دقيق للعادات والتقاليد والأعياد والمناسبات واللغات واللباس وجاءت ملاحظاته دقيقة خاصة انه أقام في الجزائر من 1581/1578م، وهو نفس المنحى الذي سار عليه الأب بيار دان **PERE PIERRE**) **(DAN** فنالت عادات وتقاليد المجتمع الجزائري حظا وافر في فصول كتابه المعنون"تاريخ البلاد البربرية وقراصنتها" لخص فيه ملاحظاته من خلال رحلاته للجزائر في سنوات (1643-1645-1646م).

رغم أن كتابات الأجانب عن الجزائر في العهد العثماني قدمت لنا مادة مصدرية هامة إلا أنها اتسمت بالنزعة الدعائية والعدائية للمسلمين وهو ما لخصه الباحث مولاي بلحميسى بقوله حول هذه الكتابات" انه نسيج من الأحكام العدائية الخاطئة التي استهدفت حكومة الجزائر وعادات سكانها، الذين وصفهم بالقسوة والوحشية واللصوصية والشعوذة"[8].

أما المصادر العربية فهي قليلة لا تستطيع أن تنافس أو تزاحم التآليف الأوروبية الخاصة بالجزائر في العصر العثماني[9]، مثال ذلك التمقروتي[10] الذي زار الجزائر في أواخر القرن السادس عشر وسجل انطباعاته وملاحظاته حول الايالة الجزائرية في كتاب سماه "النفحة المسكية في السفارة التركية"، و العياشي [11] ترك رحلة ضخمة سماها " ماء الموائد" في النصف الثاني من القرن السابع عشر،ضمنها أخبار وحوادث مختلفة ووصف السكان والعوائد وأحوال المعاش.

وقد عرف العهد العثماني في الجزائر نوعا ما تراجعا ثقافيا، فلم تكن هناك حركات تجديد فكرية ولا انتفاضات علمية ذاتية أو متأثرة بالبلاد الأوروبية [12]،ولكن المجتمع الجزائري ظل متمسكا بتراثه للامادي الذي شكل لحمة قوية، فقد حدث امتزاج بين تراثيين- **جزائري عثماني-** لهما ثقلاهما في التاريخ، ومما لاشك فيه أن هناك عوامل أثرت في الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، خاصة الوجود المسيحي، واليهودي، وهجرة الأندلسيين خلال القرن التاسع هجري، كما اتسمت الأوضاع الاجتماعية بالفوضى والاضطرابات، وتأثرها أيضا بالأمراض والأوبئة، وحتى الكوارث الطبيعية،رغم ذلك مارس الجزائريون عادات مختلفة وكثيرة، حافظوا من خلالها على لغتهم وثقافتهم،واستطاع المجتمع الجزائري مجابهة هذه الصعوبات، وذلك عن طريق إحياء المناسبات والاحتفال بالأعياد الدينية والمحلية خاصة وان الله انعم على هذا المجتمع بنعمة الإسلام وكذا رعاية الخلافة العثمانية، فقد ساعد الأتراك الجزائر في الحفاظ على هويتها الإسلامية، ومقومات شخصيتها وتراثها، كما أنهم ساهموا في تعزيز العلاقات الاجتماعية بين فئات المجتمع الجزائري بأسس قائمة على العقيدة الإسلامية [13].

فكان السكان يحتفلون بعيد الفطر وعيد الأضحى ويتكرر هذا الاحتفال سنويا ويضاف إلى الاحتفال عادات محلية لازالت تمارس إلى يومنا هذا، وبنهاية شهر رمضان وعند رؤية الهلال ينقل الخبر على جناح السرعة إلى الداي ليأمر بإطلاق المدافع إعلانا بانتهاء شهر رمضان وحلول العيد[14]، الذي يعرف لدى الأتراك **ببيرم** وفي لغة الفرانكا يطلق عليه لفظ **باساكا (Pasaca)** لأنه يأتي على منوال عيد الفصح لدى النصارى[15] ، فعند إشراق شمس ذلك اليوم وحلول الصبح تطلق نيران البنادق وتقوم الفرق العسكرية بعزف الموسيقى الحربية، وبعد الإفراغ من صلاة العيد تفتح أبواب القصر على مصراعيها للعامة والخاصة، ومن مظاهر الاحتفال داخل القصر عزف الموسيقى والمآدب وإطلاق المفرقعات، كانت صور الاحتفالات تدوم ثلاث أيام على التوالي، أما عيد الأضحى فقد كان يسمى أنداك **بقربات بيرامي**[16] **kurbar Bayrami** وكانت تبدأ الاحتفالات بعد خروج الداي من المسجد متوجها إلى القصر أين يقوم بذبح أضحية العيد ثم يرفع العلم على سطح القصر وتطلق المدافع طلقاتها، ثم بعد ذلك يعلن للرعية بذبح الأضاحي[17].

كان الاحتفال أيضا بيوم عاشوراء، حيث تزين الدكاكين وتباع فيها الفواكه الجافة كما تقدم الهدايا للأطفال، ويحتفل كذلك بالمولد النبوي الشريف بتحضير المدائح النبوية وتزين الشوارع بالشموع والأنوار وتكثر العطايا للفقراء، وتكتظ المساجد بالمسلمين وتبدأ الابتهالات وتلاوة القرآن لمدة خمسة عشر يوم. [18]

وكانت تقام الأفراح والأعراس وفقا لتعاليم الشريعة الإسلامية وقد وصف لنا **تيدنا** [19] أسير الداي في معسكر قبوله دعوة احد الشباب المرموقين لحضور حفل زفافه فقال"...كان الشرط الأول للزواج-حتى لا يكون حراما-أن لا يسبق أن رأى أحد العروسين الآخر، وبعد التأكد من هذا يتفق الشاب مع الشخص الذي

سيصبح صهرا له على المبلغ الذي سيدفعه له مقابل تزويجه بابنته... وبعد الاتفاق الذي يكون حسب إمكانياتهم يذهبون مع بعض الأصدقاء إلى القاضي وتقرأ الفاتحة ثم يتفقون على موعد العرس،وفي ليلة ذلك اليوم تصبغ العروس يدها بالحناء وفي الصباح يحضر الطعام للضيوف...كان الرجال يجلسون في منزل مستقل عن منزل النساء اللائي لا يتركن العروس وحدها ولا ينقطعن عن إطلاق الزغاريد حتى يأتي العريس... يدخل العريس إلى منزل عروسه فيجدها وحيدة جالسة على سرير، مزينة يغطي وجهها منديل من حرير، وبعد إتمام الزواج يدخل الأب ويخرج العريس ليعود إلى المدعوين، يجرد الأب ابنته ويأخذ قميصها الذي يهدأ من روعه فيريه لكل ضيوفه ثم يرسله إلى الأصدقاء ليبرهن للجميع على عفاف ابنته، وكانت الأفراح في الأعراس تتناسب مع ما يمثله القميص... بعد أن ينتهي الزواج وتنتهي الأفراح يأخذ الزوج زوجته إلى بيته... ويجب عليه أن يعتني بها وأن لا يقصر من واجباته نحوها...". [20]

رغم عبارات الاستهجان والسخرية التي وصف بها **تيدنا** هذه العادات إلا أنها تعكس مدى تمسك الجزائري بأصالته وصون شرفه واحترامه للأعراف والتقاليد .

كما انتشرت الألعاب للتسلية والمبارزة [21] والمسامرة في مجالس وسط حلقات مكفلين الأرجل دون استعمال الكراسي يتجاذبون أطراف الحديث حول خيولهم أو تجارتهم،يدخنون غليونهم ويمررونه من احدهم إلى الأخر. [22]

كما كانوا يجتمعون حول مداح أو منشد يروي قصص ألف ليلة وليلة وأساطير عنترة وإبطال الإسلام، وكان هناك بالإضافة إلى ذلك شعراء شعبيون ينددون بالمظالم ويصفون فقر الناس وصبرهم ويعدون المحرومين بيوم الفرج القريب، ولم يكن يصحب هذا المنظر ضجيج ولا صراخ ، العيون جاحظة والآذان تسمع والفكر شارد، وحين ينتهي المنشد أو الراوي تجمع له الأموال ثم يتفرق الحفل الساهر في جنح الليل. [23]

وانتشرت الموسيقى والغناء رغم اختلاف وجهة نظر العلماء حولهما، خاصة في المناسبات الاجتماعية كحفلات الزواج ولقاء السيدات في الحمام والختان، والمناسبات الدينية كالمولد النبوي وتجمع ركب الحج وللليلة القدر، والمناسبات الرسمية كتولي الباشا الجديد وحفلة الدنوش والاحتفال بانتصار كبير. [24]

و يروي **الزهار** أن النساء أيضا كن يعزفن الموسيقى،وكان المغنون والعازفون والراقصون يجازون في الحفلات الخاصة مجازاة سخية، واحتفظ أهل الحضر بآلاتهم الموسيقية يعزفون بها عندما ينفردون بأنفسهم كنوع من أنواع التسلية[25]، وتعد الأمثال الشعبية أكثر أنواع الأدب الشعبي قدرة على حفظ وحمل وترجمة أفكار أفراد المجتمع الجزائري، وكذا عاداته وتقاليده وأعرافه ومعتقداته الاجتماعية، وقد انتشرت بشكل واسع بين أفراد المجتمع خلال العهد العثماني .

كما عرف المجتمع الجزائري تبادل الألغاز كنوع من التسلية العلمية التي لجأ إليها رجال العلم والأدب لإثراء المشهد الثقافي وسد الفراغ الحاصل في هذا المجال، وبلغ بهم الأمر إلى أن تراسلوا بها من

مناطق بعيدة ولم يستثن من ذلك حتى كبار العلماء كعبد الكريم الفكون وسعيد قدورة، وأحمد المقري واقبل بعضهم إلى التأليف في الألغاز مثل الكتاب الذي ألفه أحمد البوني[26]

ومن الصروح المعمارية والأثرية بالجزائر العثمانية والتي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالثقافة الشعبية ونسجت حولها الكثير من الأساطير نجد القبور والأضرحة، ،فبناء الأضرحة والاعتناء بها في هذا العهد ساهم في تعلق الناس بها، و زيارتها في مواعيد مختلفة، للدعاء أو طلب الشفاء، أو الوفاء بندر ما.

وحينما يقومون بالدعاء، يدعون و يتبركون بالأولياء على هذا النحو: ".. ونفعنا ببركاته و بركة أمثاله أمين " ، و بالتالي يختلف المترددون على هذه الأمكنة باختلاف أهدافهم ومقاصدهم، و تعكس هذه المعتقدات تراث للامادي مخزون في الذاكرة الجماعية للفرد الجزائري، ومن الأساطير الغريبة أكل ما يتبقى من طعام في الصحن الذي أكل منه الولي لاعتقادهم ببركة الطعام الذي أكل منه، فقد كان الأولياء عموما يحظون بأكبر الاحترام حيث أنّ الناس يقومون بتقبيل أيديهم ويدعونهم للضيافة في منازلهم[27].

وعرفت بعض الأضرحة أياما خاصة لزيارتها ويبدو أنّ هذا التخصيص راجع للنشاطات التي تقام في الأضرحة في يوم معين دون الأيام الأخرى، و لعلّ أبسط مثال يمكن تقديمه، هو الصدقات الأسبوعية التي كان يقيمها ضريح عبد الرحمن الثعالبي كل ليلة جمعة، و في أثناء الزيارة كانت تقام طقوس معينة في هذه الأضرحة، تعكس هدف الزيارة، سواء لطلب الشفاء، أو لطلب حل مشكلة ما، حيث عادة ما ترافق هذه الزيارة ذبح حيوانات كالبقر، أو ذبح الدواجن أو المعز و غيرها، ومن الطقوس التي كانت تقام في الأضرحة الطواف حول الضريح و استعمال البخور والشموع، و الغسل و الشرب من الماء الموجودة هناك سواء كان بئرا أو ماء ، لاعتقاد الزائرين أن هذه المياه مباركة و لها قدرة خاصة في الشفاء أما الزيارات الجماعية فلا يمكن أن تتم إلا بمواعيد محددة و هذه المواعيد تسمى "الموسم" أو "الحضرة" أو "الركب"، والذي هو عبارة عن احتفال ديني يحتفل به الناس في وقت معين، و يستوجب استخدام أزياء معينة و مراسيم خاصة، وقد يحرص بعض الناس على تناول أطعمة خاصة تعبيرا عن فرحتهم [28].

للوعدة وظائف ودلالات منها ماهو ديني واجتماعي وثقافي، فهي سلوك مرتبط بالتراث الشعبي وعادة مارسها المجتمع الجزائري في العهد العثماني ومازالت إلى يومنا الحالي منتشرة في الأرياف والمدن وهي ظاهرة تاريخية انثروبولوجية تعكس سلوك عقائدي يترجم الحاجات الفردية والاجتماعية للفرد الجزائري.

3- أسباب اندثار وتلف التراث الثقافي غير المادي و آليات الحفاظ عليه:

يشهد عالمنا اليوم تطورات تكنولوجية ورقمية، ما بات يشكل خطر على الموروثات والمعارف التقليدية في مقدمتها التراث الثقافي للامادي المهدد بالتدمير المتزايد، لأسباب لعل أهمها تغير الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر وقلة الوعي لدى المواطنين بأهمية التراث الحضاري وتأثيره على مستقبل الأجيال الحالية والقادمة.

ويحتوي المجتمع الجزائري على تراث لامادي متنوع والسبب راجع إلى شساعة الجزائر ، وتعدد الثقافات فيها ، ويسعى الباحثون الجزائريون في مجال الانثروبولوجيا والأدب الشعبي والمهتمين بالفولكلور إلى دراسة هذا التراث، وقد تقدمت هذه الدراسات أشواطا كبيرة خاصة في عملية الجمع والتصنيف، حيث نجد عدة دارسين قد ألفوا مصنفات عنها ، وكلهم يسعون إلى هدف واحد هو خدمة الثقافة الشعبية ، بمحاولة تسجيلها وتقييدها ، لكي لا تندثر مع الزمن والاختلاف الوحيد في الدراسة هو طريقة المعالجة أو التبويب ، فهناك من قام بوضع هذا التراث في مصنف على أساس موضوعي ، بمعنى قسم هذا التراث حسب مواضيعه كالاهتمام بالألغاز أو المديح النبوي و الشعر الشعبي ومن بين المصنفات نجد الأمثال الشعبية التي صنفها محمد بن أبي شنب وهو علامة مشهور ، أسهم بقسط كبير في هذا المجال حيث كان يشغل أستاذا بالمدرسة العليا للآداب بالجزائر. النواة الأولى لجامعة الجزائر . وقد وضع مصنفه في مستهل القرن العشرين ، الذي أسماه (أمثال جزائرية من الجزائر والمغرب) وهو لم يكتف فيه بذكر الأمثال السائرة في الجزائر فقط ، بل توسع فيه فذكر أيضا الأمثال الشائعة في العالم العربي والإسلامي ، وقد كان كتابه هذا روعة في البحث العلمي ، لأنه عمد إلى مقارنة الأمثال التي جمعها بما جمعه الباحثون المستشرقون ، وأيضا بعودته إلى الكتب التراثية القديمة المتعلقة بالأمثال[29].

ومع وجود جيل من الباحثين والدارسين ممن درسوا في الجامعات الجزائرية وتخصصوا في الثقافة الشعبية وعلم الاجتماع وغيرها من التخصصات التي تعنى بعلم الإنسان، هؤلاء بذلوا جهدا مشكورا وقدموا لنا دراسات ميدانية ونظرية من شأنها حماية الموروثات و المعارف التقليدية و الفلكلور في الجزائر [30].

وقد وضعت الدولة تشريعات لحماية المخزون الثقافي من أيدي العابثين بثروات الأمم ، خاصة لما يشهد العالم اليوم من تطورات متلاحقة و متسارعة والعولمة ومن هذا المنطلق وضعت وزارة الثقافة على عاتقها مسؤولية الحماية القانونية للتراث الثقافي وفق قوانين حماية التراث و حماية المخطوطات التي تشرف على تنفيذها وزارة الثقافة وقد تم إنشاء المؤسسات الكفيلة بتنفيذ ذلك فهناك جمعيات عبر الوطن للموسيقى التقليدية و مخابر للمخطوطات و مهرجانات للحرف اليدوية التقليدية والتي أصبحت الآن ضمن أولويات وزارة الصناعة وترميم القلاع و الحصون التي تزخر بها الجزائر.

إن مراقبة هذا الإرث الثقافي المتنوع والمحافظة عليه يعتبر أحد أهّم مبادئ الدولة الجزائرية ، ذلك أن التراث اللامادي في نظر لويزة غاليز الباحثة بالمركز الوطني الجزائري للبحث في عصور ما قبل التاريخ والإنسان، هو «طاقة متجددة» ما يستدعي تشجيع البحث والابتكار في مجال حماية التراث اللامادي حيث لا يزال البحث في هذا المجال مهّمشاً ومن هنا جاء عنوان الدورة الثانية للجائزة العربية للألكسو: «التراث اللامادي» تشجيعاً على البحث اليوم لإيجاد الحلول قبل فوات الأوان خاصة بعد تلاشي بعض أشكال هذا التراث. ولا يقتصر الأمر على حماية هذه المفردات والعناصر التراثية اللامادية، وإنما البحث في قابليتها للتحديث والعصرنة بعيداً عن تثبيتها في مغلفات جامدة للفرجة وأخذ الصور التذكارية

وذلك ما سعت إليه الجهات المختصة بإبراز القيمة التاريخية والحضارية وكذا الغنى والتنوع الذي يتمّيز به التراث العربي اللامادي في العديد من الأقطار العربية مؤكدين على ضرورة جمعه وتدوينه والعمل على توظيفه في الخطط والاستراتجيات التنموية.

4-جهود المجتمع المدني و منظمة اليونسكو في الحفاظ على التراث غير المادي:

تهدف اليونسكو إلى توثيق التراث الشفهي كونه مجالًا قابل للاندثار بحفظه وحمايته وتطويره وتبنيه ونقله للتعليم المدرسي وغير المدرسي ونشر القائمة التمثيلية للتراث الثقافي لصون الهوية للمجموعات المختلفة والتاريخ الإنساني وليكون مصدر إلهام للفنانين والموهوبين وتشجيع السياحة.

وبالنظر إلى أهمية التراث الثقافي غير المادي بوصفه بوتقة للتنوع الثقافي وعاملا يضمن التنمية المستدامة، وفقا لما أكدته توصية اليونسكو بشأن صون الثقافة التقليدية والفولكلور لعام 1989 ، وإعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي لعام 2001 ، وإعلان اسطنبول لعام 2002 ، المعتمد في اجتماع المائدة المستديرة الثالث لوزراء الثقافة،وبالنظر إلى الترابط الحميم بين التراث الثقافي غير المادي والتراث المادي الثقافي والطبيعي، وإذ يلاحظ أن عمليتي العولمة والتحول الاجتماعي، إلى جانب ما توفرانه من ظروف مساعدة على إقامة حوار متجدد فيما بين الجماعات، فإنهما، شأنهما شأن ظواهر التعصب، تعرضان التراث الثقافي غير المادي لأخطار التدهور والزوال والتدمير، ولا سيما بسبب الافتقار إلى الموارد اللازمة لصون هذا التراث[31].

أما المجتمع المدني فمسؤوليته أكثر لأنه هو صاحب التراث والخزان الطبيعي له فيجب على الأفراد صيانة هذا التراث ضمن العمل الجمعي، وأشار أ.د. هاني هياجنه ممثل الأردن في اللجنة الدولية الحكومية لاتفاقية اليونسكو بشأن صون التراث الثقافي غير المادي إلى أن:

«مراكز المجتمع المحلي ورابطاته، والمتاحف، ودور المحفوظات، والكيانات المماثلة الأخرى يمكن أن تؤدي دوراً حيوياً في دعم نقل التراث الثقافي غير المادي وإطلاع عامة الجمهور على أهمية هذا التراث بالنسبة إلى هذه المجتمعات المحلية. ولكي تسهم هذه المراكز والرابطات في التوعية بالتراث الثقافي غير المادي وبأهميته، فإنها تُشجَّع على ما يلي: أن تستخدمها المجتمعات المحلية كفضاء ثقافي يمكن في إطاره صون تراثها الثقافي غير المادي باستخدام وسائل غير رسمية، أن تُستخدم كأماكن لنقل المعرفة والمهارات التقليدية فتسهم بذلك في الحوار فيما بين الأجيال، أن تعمل كمراكز معلومات بشأن التراث الثقافي غير المادي للمجتمع المحلي[32].

خاتمة:

يحمل التراث أهمية كبرى لدوره الفعال في تغذية العقل الجمعي ومده بالقيم، إلى جانب إسهامه في تشكيل الوعي العام، ولهذا كان الحفاظ عليه ونشره ونقله عبر الأجيال والحرص على ضمان استمراريته مسؤولية الجميع بلا استثناء،فكلنا راع وكلنا مسؤول عن صون تراثنا الذي يُمثل خيطاً شعورياً يضمن تواصل الأجيال، كما يحدد ملامح هويتنا.

الملاحق:

- Jérôme Louis, La question d'Orient sous Louis-Philippe. Histoire. Ecole pratique des hautes études ephe paris, 2004,p159.

2- Jérôme Louis, op cit ,p 172

3 - Jérôme Louis, op cit ,p 194

4- Jérôme Louis, op cit ,p 192

5- https://www.oumyasmin.com ، ساعة الارتباط بالشبكة:21.44، بتاريخ2020/05/26.

الملحق رقم01[1]: Canonnier turc, Gabriel-Alexandre Decamps, 1830.

مدفعي تركي، غابرييل ألكسندر ديكامبس، 1830.

الملحق رقم02:[2] Eugène Delacroix, Femmes d'Alger dans leur appartement, 1834.

الرسام يوجين ديلاكروا، نساء الجزائر العاصمة في شقتهن، 1834.

الملحق رقم :03[1]

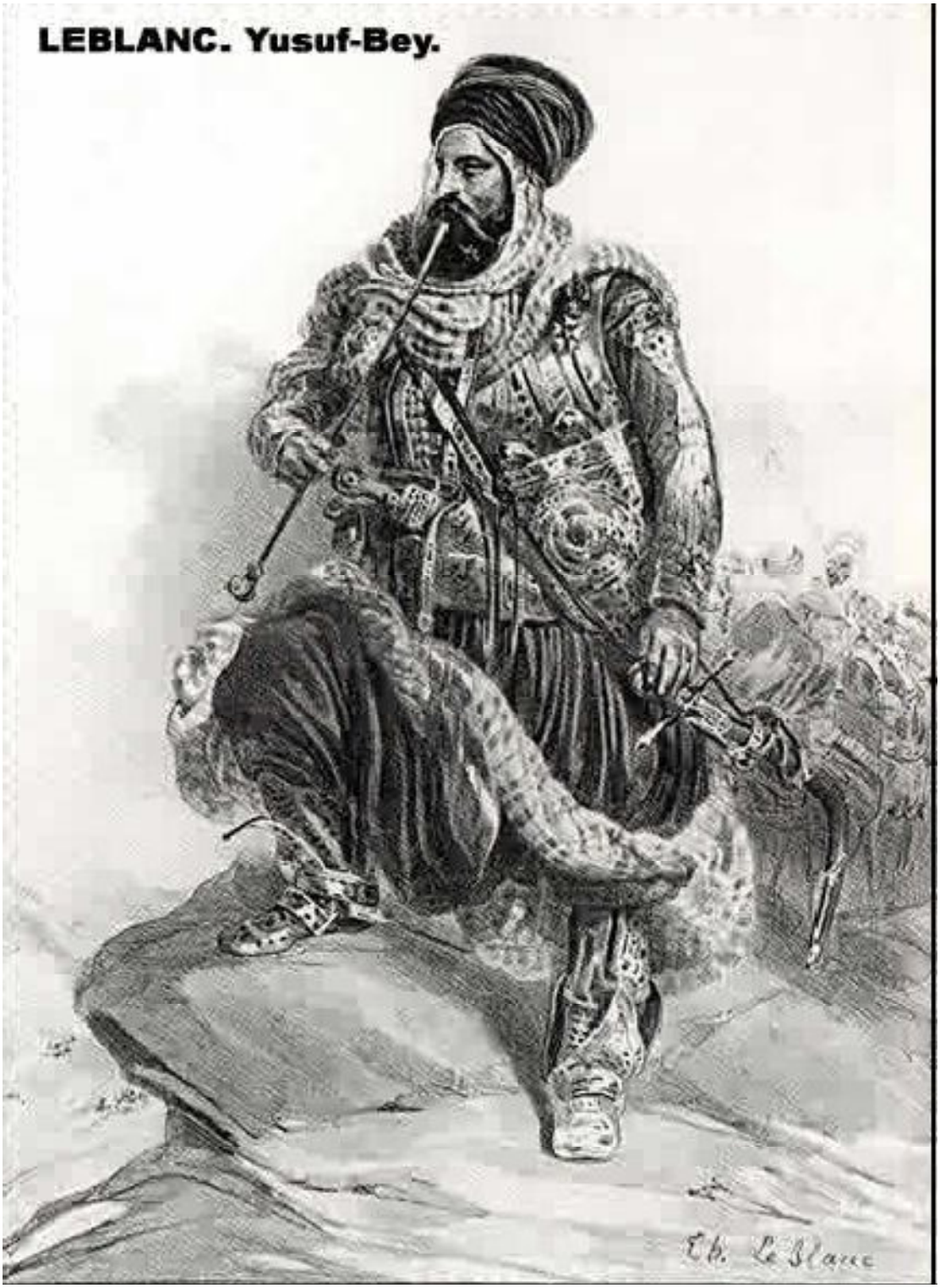

الملحق رقم :04[3]

يمثل سيدة من حرملك قصر باي قسنطينة احمد بن شريف في كامل اناقتها

الملحق رقم05:اللباس التقليدي الجزائري في العهد العثماني[4]

الهوامش:

1- أشرف صالح محمد السيد، التراث الحضاري في الوطن العربي أسباب الدمار والتلف وطرق الحفاظ، مؤسسة النور للثقافة والإعلام،جائزة النور للإبداع ،دورة المفكر عبد الله الصائغ، السويد،2009،ص05 (. (www.alnoor.se

2- المرجع نفسه.

3- ابن منظور،لسان العرب،مج1،ج6، ص492،ينظر: دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، مراجعة الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية،الطبعة الأولى، بيروت، 2007، ص122-123.

4- سامية عزيز، عمر حمداوي، دور المجتمع المدني في المحافظة على الهوية الثقافية في ظل العولمة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص (الملتقى الدولي الاول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوتقافية في المجتمع الجزائري، ص713-714، dspce.univ-ouargla.dz.

5-مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، الجزائر، 1994، ص19.

6- أشرف صالح محمد السيد، مرجع سابق،ص7-8.

7- ارزقي شوتيام،المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عمار بن خروف، جامعة الجزائر ،2005-2006،ص 322.

9 - مولاي بالحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2،ص14.

10 - التمقروتي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي نسبة الى قرية تمقروت بوادي درعة بالمغرب الاقصى، ولد في حوالي 1560 و تقلد مناصب هامة ورسمية ببلاط مراكش ، كلف بسفارة نحو استبول في سنة 1589 م ، نزل ببعض المدن الساحلية الجزائرية ، سجل السفير انطباعاته وملاحظاته في كتاب سماه "النفحة المسكية في السفارة التركية"، تحدث التمقروتي عن الجزائر في دهابه وايابه قدم هذا الرحالة معلومات نفيسة عن الجزائر خلال العهد العثماني.نفس المرجع ،ص17.

11-العياشي: هو أبو سليم عبد الله بن محمد بن أبي بكر، العياشي المالكي ولد بقبيلة آيت عياش قرب تافلالت في 1628م كان محدثا وصوفيا وعالما وشاعرا ، ترك رحلة ضخمة سماها "ماء الموائد" ، رحلة قيمة وصف من خلالها الجنوب الجزائري ومدنه وعلمائه. نفس المرجع ، ص18.

12- ابو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال،ط3،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982،ص151.

13- ج.أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني:ج.أو. هابنسترايت(1145هـ-1732م)، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس، (ب.د)،ص46.

14 - نفس المرجع،ص48 .

15- المرجع نفسه.

16-وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ص100، ينظر Dr Shaw; Voyage dans la Régence D' Alger traduit de Langlais par J Malin éditeur; paris 1830;p129.

17- حصام صورية، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،إشراف عبد المجيد بن نعمية، جامعة وهران،قسم التاريخ وعلم الآثار،2012-2013،ص172.

18- نفس المرجع، ص173.

19- ولد تيدنا سنة 1758 في يوزيس لانغدوك من عائلة كاثوليكية ميسورة الحال، مارس مهنة نقل براميل الخمر من مالاقا الى مرسيليا على متن سفينة أسبانية وهي التي قبضه قرصان البحر التابعين لداي الجزائر على متنها، ولسوء العلاقة بين داي الجزائر واسبانيا اعتبر تيدنا أسيرا، اشتراه باي معسكر الذي كان بحاجة لشخص مثقف ومخلص لإدارة منزله، فبقي في قصره وفي خدمته مدة ثلاثة اعوام وسبعة اشهر، تدرج تيدنا خلالها الى ان صار خزندار باي الغرب الجزائري محمد بن عثمان باشا الملقب في التاريخ بمحمد الكبير(1766-1791م)، وقد أكسبته مغامراته مع أهل الجزائر في الغرب أشياء كثيرة ، كتب مذكراته التي تعتبر مصدرا هاما وتحفظ مذكرات تيدنا غير مطبوعة في المكتبة الوطنية بباريس، قسم مخطوطات ف.أ فرنسا رقم10877، وتحتوي على 140 صفحة. ينظر عميراوي احميده، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني(مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، الجزائر،2003،ص33-34.

20- نفس المرجع، ص 89-90.

21- ج.أو. هابنسترايت، مرجع سابق،ص49.

22- عميراوي احميده، مرجع سابق ،ص 92.

23-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثاني 1500-1830م، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ط1 ،1998، ص 291.

24- نفس المرجع، ص440.

25-فوزية لزغم، البيوتات والاسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها الثقافي والسياسي(925-1246هـ/1520-1830م)، اشراف محمد بن معمر، أطروحة في التاريخ والحضارة الاسلامية، وهران،2013-2014م،ص396.

26- ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق، 441-442-443.

27- ياسين بودريعة، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص تاريخ حديث، اشراف، عائشة غطاس، 2006-2007،ص75 ، أشرف صالح محمد سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي، أمارابك ، مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم التكنولوجيا، المجلد الرابع، العدد السابع،2013،ص67-68، ينظر :www.amarabac.com

28-ياسين بودريعة، نفسه.

29 الدكتور محمد بن أبي شنب المولود بولاية " المدية" التي تبعد عن الجزائر العاصمة بنحو 90 كيلومترا ، يوم الثلاثاء الموافق (10 من رجب 1286 هـ= 26 من أكتوبر (1869م ، ونشأ في أسرة تعود جذورها إلى مدينة "بروسة" التركية وكانت على جانب من الغنى واليسار وتعمل بالزراعة .وقد عنيت هذه الأسرة بتربية ابنها وتعليمه؛ فحفظ شيئا من القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم التحق بالمدارس المدنية التي أنشأتها فرنسا وفق خطتها في نشر ثقافتها، فتعلم الفرنسية وقرأ آدابها وتاريخها، وبعد أن أنهى تعليمه الثانوي التحق بمدرسة دار المعلمين الفرنسية بـ "أبي زريعة " بالقرب من الجزائر، وقضى بها عاما للدراسة تخرج بعدها مجازا بتعليم اللغة الفرنسية وآدابها في المدارس الابتدائية ،ترك ابن أبي شنب مؤلّفات وتحقيقات وعلم غزير ، فمن كتبه : تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب 1906 و 1928 ، شرح لمثلثات قطرب 1906 ، أبو دلامة وشعره وهو أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه التي حصل عليها سنة 1924 م ، الأمثال العامية الدارجة في الجزائر وتونس والمغرب 3 أجزاء 1907 ،الألفاظ الطليانية الدخيلة في لغة عامة الجزائر لا زال مخطوطاً ، فهرست الكتب المخطوطة في خزانة الجامع الأعظم بالجزائر 1909 وغيرها من الكتب والمؤلفات و قد تحقق لابن أبي شنب ما أراد ، فقد قام في فترة وجيزة لا تتعدى العشرين سنة بتحقيق مجموعة هامة من الدراسات العربية و المغاربية و الجزائرية الهامة ، و استطاع في الفترة نفسها أن يترجم جزء من تلك الدراسات و الدواوين الشعرية إلى اللغة الفرنسية عبر منهج علمي أكاديمي دقيق ، سهل تواصل الفرنسيين ثقافيا مع التراث الجزائري العريق، و الدراسات التي حققها و ترجمها محمد بن أبي شنب تدل على اعتزازة بانتمائه الحضاري و انتمائه الوطني.ينظر : حسين تروش، الانتماء الحضاري و التواصل مع الآخر من خلال الترجمة عند محمد بن أبي شنب (1869/1929)،الانترنيت، hocaiche@yahoo.fr، ساعة الارباط بالشبكة :11.40، التاريخ 2015/09/17.

30-هناك عدة رسائل جامعية عالجت التراث للامادي في الجزائر مثال ذلك: مذكرة ماجستير حول الالغاز الشعبية في الاوراس "واد الطاقة" أنموذجا جمع ودراسة الطالبة حليمة عواج، اشراف الدكتور محمد زرمان، جامعة الحاج لخضر باتنة،2006-2007.

31- نص اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي،https://ich.unesco.org/ar/convention ، ساعة الارتباط:00.13/ بتاريخ2020/05/29.

32-مقال على الشبكة تحت عنوان: د. الهياجنة : منظمات المجتمع المدني لها دور فاعل في تعزيز التراث ...، http://alrai.com/article/445310.html

ساعة الارتباط:00.13/ بتاريخ2020/05/29.